

مجلة المعجمية - تونس

ع 23

2007

التأثيل المعجمي وموقع العربية بين الساميات

رمزي منير بعلبكي

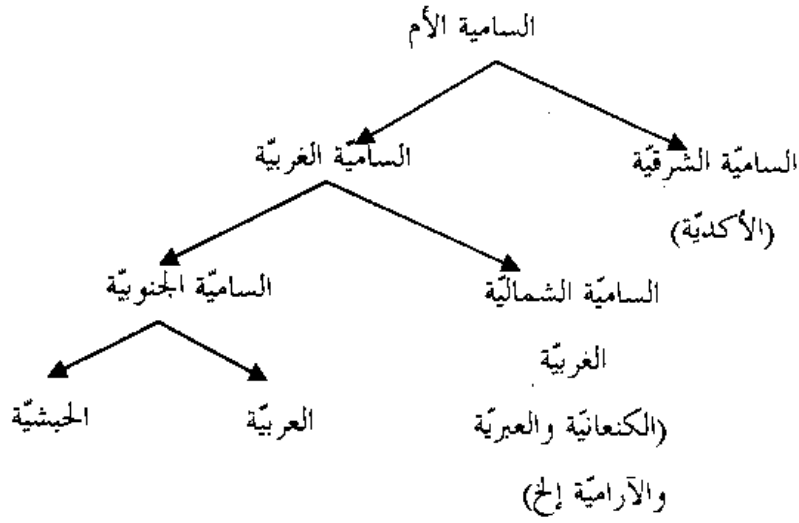
لعلّ أولى القضايا البدهية التي يتعين حسمها في التأثيل المعجمي العربي موقع العربية بين اللغات السامية . فبقدر ما يتم تحديد ذلك الموضع تحديداً دقيقاً يسهل تأثيل المفردات العربية ومعرفة أقرب النظائر السامية إليها ، فيسهل رصف كل مجموعة من المفردات في ترتيب تاريخي ولو تقريبياً . إلا أن المسألة دوها صعوبات جمّة ، وآراء علماء الساميات متباينة بل متضاربة في العلاقات التكوينية بين مختلف اللغات السامية . ويزيد الأمر تعقيداً أنّ لبّ الخلاف بين الدارسين يدور على موقع العربية الشمالية ، أي العربية الفصحى العامة . وسوف نحاول في هذه الدراسة أن نتحرى العلاقة بين العربية - ونذهب عند إطلاقها هنا إلى الفصحى - وبين الفرع الشمالي العربي العربي للغات السامية من جهة ، وبينها وبين الفرع الجنوبي لتلك اللغات من جهة أخرى . والمراد أن يكون هذا كِبنةً أولى في التأثيل المعجمي للعربية ، أي أساساً نظرياً يصحُّ اعتماده في المداخل المعجمية لعرض المادة السامية المشتركة ولتقرير الأصالة أو الافتراض . والمرجوه أن تلي هذه الدراسة دراسةً أخرى تطبيقية لنماذج محدّدة من التأثيل المعجمي للجذور والكلمات العربية .

ولما كان غرضنا من النظر في تصنيف اللغات السامية أن نتبين موقع العربية فيها ، فإننا لن نعتنى إلا بما يخصّ العربية من حيث علاقتها بسائر تلك اللغات ، ولن ندخل في المسائل الخلافية التي تقع خارج هذا الحدّ . ولعلّ أكثر الحقائق اللغوية كشفاً عن العلاقة

بين اللغات المتقاربة الخطوط اللهجيّة⁽¹⁾ isoglosses ولاسيما منها الخطوط المورفيميّة isomorphs . وسوف نعرض في هذه الدراسة للخطوط المورفيميّة الرئيسيّة التي يرد ذكرها في الدراسات المعاصرة باعتبارها ظواهر مبتكرة innovations في لغة ساميّة واحدة أو أكثر ، لأنّ الاستحداث معيار بالغ الأهميّة في تحديد العلاقة بين اللغات المتقاربة وفي تصنيفها أيضا . وتبسيطا للأمور ، فإننا سنعرض لنموذجين اثنين يمثّل كلّ منهما اتجاهها مستقلا - أو قل : نظريّة - في تصنيف اللغات الساميّة ، ثمّ نبين الأسس اللغويّة التي يستند إليها موقع العريّة في كلّ - وهي في مجملها خطوط مورفيميّة - على أن نناقش تلك الأسس بشيء من التفصيل لأهمّها مُعتمداً في تحديد العلاقة بين العريّة وأخواتها .

النموذج الأوّل هو التصنيف التقليديّ للغات الساميّة ، وهو يرجع إلى عهد Wright (1890) ، Bergsträsser (1923) ، Brockelmann (1926) ، Gray (1934) ؛ وقد بنى عليه Moscati (1969) وزملاؤه نحوهم اللّغويّ للغات الساميّة ، وخصصنا هذا المؤلّف بالذكر باعتباره أفضل ما كتب في بابهِ في العقود الأخيرة الماضية ولأثره الكبير في أوساط دارسي الساميات . ويتضمّن هذا التصنيف قسمين كبيرين : الساميّة الشرقيّة (وهي الأكديّة ومتفرعاتها) والساميّة الغربيّة ، وهي تنقسم بدورها إلى الساميّة الشماليّة الغربيّة (أي الكنعانيّة والعبريّة والفينيقية والآرامية والمؤابية) والساميّة الجنوبيّة (أي العريّة والحبشيّة) . ويمكن تمثيل هذا التصنيف على النحو التالي⁽²⁾ :

- (1) قد يستخدم هذا المصطلح - كما هو مستخدم في هذه الدراسة - للتمييز بين اللغات لا بين اللهجات بمعناها الأقرب . انظر : معجم المصطلحات اللغوية ، مادة isogloss وما يتفرع عنها .
- (2) كثير من المؤلفات التي تتبع هذا التصنيف عامة سابق على اكتشاف الأوغاريتية (عام 1929) والإبلاوية (في السبعينيّات من القرن الماضي) . ويذكر أن في الأولى خلافا أيضا ، فمنهم من يعدها من الكنعانيّة ، ومنهم من يجعلها مع العبريّة والفينيقية أو يجعلها فرعا مستقلا من فروع الساميّة الشماليّة الغربيّة . أما الإبلاوية فالخلاف فيها أكبر - ولعلّ ذلك ينجلي بعد دراسة أوفى لنقوشها الكثيرة التي تشكل أكبر مدونة في تاريخ العالم خلال العصر البرونزيّ المبكر بين الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد . وقد اقترح بعض الدارسين جعلها في فئة مستقلة متفرعة من السامية الأم مباشرة ، على حين ذهب آخرون إلى قربها إما من الساميّة الغربيّة وإما من السامية الشرقيّة أي الأكديّة .

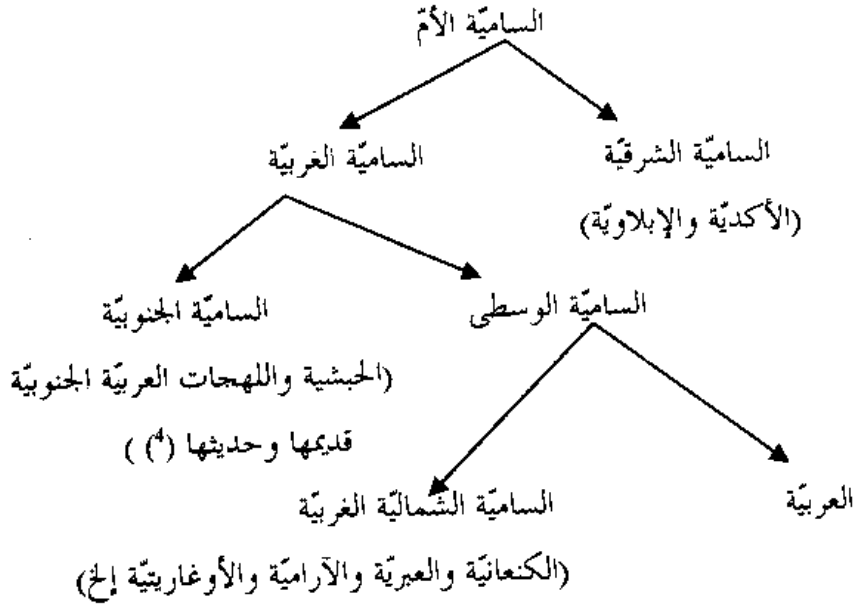


بحسب هذا التصنيف إذن تقع العربيّة ضمن السامية الجنوبيّة مع الحبشيّة يجمعها مع السامية الشماليّة الغربيّة أصلٌ مشترك أبعد هو السامية الغربيّة . وفي اللهجات العربيّة الجنوبيّة (أي السبئيّة والمعينيّة والقنانيّة والحضرميّة) والحديثة (كالمهريّة والجباليّة والسقطريّة والحرسوسيّة) خلافً ، إذ من الدارسين من يصنّفها مع العربيّة انطلاقاً من اعتبارات جغرافيّة ولغويّة على السواء ، في حين يصنّفها آخرون مع الحبشيّة اعتماداً على تميّزها عن العربيّة الشماليّة وموافقتها الحبشيّة في عدد من الخصائص . ومهما يكن من شيء ، فإن أساس هذا التصنيف جغرافيّ وحضاريّ في المقام الأوّل وإن كان له مسوغات ولا سيّما منها ما يميّز بين الفرعين الكبيرين : الشرقيّ والغربيّ . أمّا المسوغات اللغويّة الخاصّة بموقع العربيّة في هذا التصنيف فسوف نفضّلها لاحقاً .

وابتداءً من سبعينيّات القرن الماضي ، نحا بعض الدارسين نحو الخروج على هذا التصنيف التقليديّ منطلقين من اقتناعهم بأن العامل الحاسم في تصنيف أية مجموعة لغويّة إنّما هو الخصائص الصرقيّة التي استحدثتها بعض تلك اللغات دون سواه . وعلى ذلك فالنموذج الثاني للتصنيف (3) يقسم الساميات ، كقسمة التصنيف الأوّل ، قسمين كبيرين : السامية الشرقيّة (أي الأكديّة ومتفرّعاتها ، وقد يضيف إليها بعضهم الإبلاويّة (Eblaite) والسامية

(3) انظر : (1976) Hetzron و (1977) Goldenberg و (1991) Rodgers ، و (1992) Huehnergard .

الغربية . إلا أن القسمة بعد هذا تختلف عما في التصنيف الأول ، فالسامية الغربية تتفرع فرعين : السامية الوسطى والسامية الجنوبية . أما الوسطى فقسمان أحدهما العربية والآخر السامية الشمالية الغربية ؛ وأما الجنوبية ففي تفاصيلها خلاف إلا أنه يندرج تحتها ، بوجه عام ، إضافة إلى الحبشية ، اللهجات العربية الجنوبية قديمها وحديثها . وتمثيل هذه القسمة كالتالي :



إن الأمر الأساسي الذي يختلف فيه هذا النموذج عن سابقه هو موقع العربية إذ إنها نُقلت فيه من المجموعة السامية الجنوبية وجُعِلت تحت مجموعة جديدة اسمها السامية الوسطى إلى جانب الكنعانية والآرامية والعبرية إلخ إشعاراً بالصلة التي تجمع هذه اللغات الشمالية الغربية بالعربية . وتفرعاً على هذا ، يختلف الباحثون في العلاقة بين مجموعة اللغات التي تتكوّن منها السامية الوسطى بين قائل بأن العربية تقع مع اللغات الكنعانية (ومنها العبرية والفينيقيّة) في فرع واحد هو العربية الكنعانية Arabo-Canaanite بإزاء فرع آخر هو الآرامية ، وقائل بأن العربية والكنعانية والآرامية إنما هي فروع مستقلة من السامية الوسطى (5) ؛ ولن ندخل في هذه المسألة لقلة فائدتها في بحثنا هذا .

(4) يقترح Voigt (1987) ص 15 إخراج عربية النفوش الجنوبية من مجموعة اللغات السامية الجنوبية وجعلها فرعاً متميزاً من فروع السامية الوسطى يطلق عليه اسم السامية الجنوبية الغربية !
(5) انظر : Faber (1997) ص 7 ، و Voigt (1987) ص 15 ، و Zaborski (1991) ص 369 .

ولا ريب أن ترجيح أحد هذين النموذجين الكبيرين في تاريخ تصنيف اللغات السامية وتعيين موقع العربية فيها - إن كان ممكناً - يعود بفائدة عظيمة على تأثيل المفردات العربية ضمن أي معجم تاريخي للعربية . ولعل أقرب السبل إلى الترجيح المراد أن نعرض للحجج التي يسوقها أصحاب كل من الرأيين - سواء في ذلك ما انفرد به بعضهم أو جاء لدى غير واحد - ونناقشها آملين أن نخلص إلى ترجيح أحد التصنيفين أو إلى القطع بعدم جواز ذلك ، ثم أن نبين أثر ما نستخلصه في مسألة التأثيل .

ونستطيع أن نحمل الحجج اللغوية (6) التي تستند إليها النظرية الأولى على التسق

التالي :

1- جموع التكسير :

أ - الحجة : يرى أصحاب النظرية الأولى أن هذه الجموع ، لتركزها في اللغات السامية الجنوبية بحسب قسمتهم هم ، تميز اللغات التي تستخدمها - أي العربية الشمالية والجنوبية والحبشية - عن اللغات الشمالية الغربية (7) . والحاصل أن هذه الظاهرة تؤيد انتماء العربية إلى المجموعة الجنوبية وتحولها بعيداً عن الكنعانية والآرامية والأوغاريتية .

ب - تقويمها : قد تبدو هذه الحجة للوهلة الأولى حاسمة نظراً إلى أنها تختص بباب صرفي كبير يندرج تحته مجموعة متنوعة من الأبنية . إلا أن حقيقة الأمر أكثر تعقيداً من الظاهر على ما يمكن استخلاصه من عدد من الملاحظات ، أولها أن أبنية جموع التكسير بحملها أبنية سامية مشتركة ، وإن كنا لا نكاد نقع على استخدامها لجموع التكسير إلا في اللغات الجنوبية . والملاحظة الثانية أننا نقع على جموع التكسير في اللغات التي تجمعها بالساميات صلة قرابة ، كالبربرية والتشادية والكوشيتية (8) ، وفي هذا دليل على أن هذا

(6) قد يضيف بعض أنصار النظرية الأولى حجة جغرافية دعماً لأرائهم باعتبار أن قسمتهم أكثر انسجاماً من النظرية الثانية مع الواقع الجغرافي لتوزيع اللغات . إلا أننا لن نتطرق إلى هذه الحجة لأن من المتعذر أن نبطل عامل الهجرة وأثره في التصنيف اللغوي ، أي أن العماد في أي تصنيف يجب أن يكون لغوياً في المقام الأول إذ إن من الجائز أن تتباعد لغتان - أو أكثر - من الناحية الجغرافية بسبب الهجرات المتعاقبة وتبقى الخصائص اللغوية التي تجمعهما دليلاً على صلتها التكوينية .

(7) انظر : Diem (1980) ص 69 وما بعدها .

(8) انظر سلسلة مقالات Petráček المذكورة في قائمة المراجع ، و (1991) Zaborski ص 370-371 .

النوع من المجموع يعود إلى مرحلة السامية الأم . أما الملاحظة الثالثة فإن في بعض اللغات السامية غير الجنوبية كلمات يمكن وصفها بمجموع التكسير . ففي عبرية العهد القديم نجد الوزن q^htūl (ولعل أصله *quṭūl* ويقابله في العربية وزن فُعول) مُستخدماً للدلالة على الجمع في كلمات مثل z^hkhūr (ذُكور) و r^hkūš (ممتلكات منقولة) و g^hbhūl (حدود) ، ويقابلها في العربية "جبال" ؛ وفي السريانية نجد ḥemrā ، مثلاً ، جمعاً لـ ḥmārā (حمار) على نمط جمع التكسير (9) . إن هذه الملاحظات الثلاث مجتمعة تعزز الاعتقاد بأن التشابه بين العربية والحيشية في ظاهرة جموع التكسير إنما هو جزء من المخزون السامي المشترك الذي يرجع إلى السامية الأم بل إلى السامية - الحامية ، وأنه عائد إلى احتفاظ اللغات الجنوبية بمجموع التكسير وعدم إسقاطها في الاستعمال ، وليس مرده إلى اشتراك هذه اللغات في إحداث ظاهرة جديدة يصلح استخدامها دليلاً صرفياً على علاقة عضوية مميزة لهذه اللغات عن أحوالها .

2- فتحة عين الفعل الماضي المبني للمعلوم :

أ - الحجة : تنفرد العربية والحيشية في أن صيغة الفعل الماضي المبني للمعلوم (10) فيهما هي وزان fa'ala ، يميزها عن الصيغ المقابلة في سائر الساميات فتحة بين الأصلين الثاني والثالث أي بين عين الفعل ولامه (11) .

ب- تفويهما : إن التقارب بين العربية والحيشية في هذه الخاصية واقع لا يُدحض . غير أنه يحسنُ بنا أن نترى قبل أن نستخلص منه أحكاماً تتعلق بالتصنيف اللغوي ، أي الحكم بأن العربية أقرب إلى اللغات الجنوبية منها إلى المجموعة الشمالية . ولنا في وجوب

(9) من الملاحظ أيضاً أن كثيراً من جموع السلامة ، تكثيراً وتأنيناً ، في العربية يظهر تبديلاً في نظام صوائت الكلمات بين الإفراد والجمع . من ذلك مثلاً : أرض وأرضون وبين وينون ، وحلقة وحلقات ، وصرخة وصرخات . ويقابل هذه الظاهرة في عبرية العهد القديم تغير صوائت الكلمات السيفولية ، أي المكونة من مقطعين في كل منهما سيفول ، حين تُجمع جمع منكر سالماً ، نحو melekh و kelebh اللتين تُجمعان على k'ābhīm و m'lākhīm . وشبهه بهذا في أرامية العهد القديم أن جمع malkā هو malkhayyā حيث يُسعر تحول الكاف إلى خاء بوجود صائنت في مرحلة سابقة ، أي بتغير صائنتي في صيغة المفرد حين يُجمع . ويمكن تفسير هذه الظاهرة بالقول إن بعض الكلمات قد جُمع جمع تكسير ثم أخضع لقياس جمع السلامة . ولا يخفى أن هذا التفسير يعزز القول بالأصل السامي المشترك لظاهرة جموع التكسير .

(10) خصّصت صيغة المتعدي بالذکر - وإن يكن في العربية ، مثلاً ، أفعال متعدية من صيغة فعل نحو علم وشرب - لأن صيغتي فعل وفعل في مجمل الساميات تقترنان بالأفعال اللازمة .

(11) انظر: (1911) Nöldeke من 621 ، و (1977) Goldenberg ص 475 .

التريث حجج ثلاث : الأولى أننا لا نعرف على وجه اليقين طبيعة الصائت الذي يلي عين الفعل في عدد من اللغات السامية الشمالية ، وذلك لأن طبيعة كتابتها صامتية تحمل الصوائت القصيرة برمتها ؛ فلعلّ حركة العين في بعض تلك اللغات أو جميعها أن تكون الفتحة ! والثانية أن الجزم بوجود هذه الفتحة في كل اللهجات العربية القديمة ، شماليها وجنوبيها ، أمر قد يكون متعذراً إذ إن كثيراً من تلك اللهجات قد اندثر أو أنّ طبيعة كتابته لا تشي بصوائته القصيرة ، علاوة على أنّ بين اللهجات العربية الحديثة ، في صيغة الماضي المبني للمعلوم وفي حركة عينه ، تفاوتاً قد يكون راجعاً إلى مرحلة قديمة جداً من تاريخ العربية (12) . أمّا الحجة الثالثة فهي أن من المحتمل أن يكون التشابه بين العربية والحبشية في صيغة الماضي المبني للمعلوم ناشئاً عن المقايسة باعتبارها "المحرك الأكبر للتغيرات الصرفية في أية لغة ... [و]السبيل الأمثل لتفسير الظواهر الصرفية التاريخية التي يتركز إليها فقه اللغة المقارن" (13) . وفي الساميات أمثلة كثيرة على المقايسة في صيغ الأفعال (14) . وإذا إن من المقرر في علم اللغة المقارن أنه كلما كان التغير الصوتي أو الصرفي "طبعياً" (أي متوقفاً حدوثه - بسبب من المماثلة أو المخالفة وغيرهما من الظواهر الشائعة - ولا سيما إذا كان له مقابلات في لغات غير ذات صلة باللغة المدروسة) ، كان مراد التشابه الناشئ عنه بين لغتين اثنتين إلى ظواهر متأخرة لا إلى علاقة عضوية تترتب عليها أحكام متعلقة بتصنيف اللغوي . ولا يخفى أن المقايسة في صيغ الأفعال "طبعية" إلى حدّ يجعل الباحث على الحذر من إطلاق أحكام تصنيفية على اللغات التي يظهر فيها أثر المقايسة صوتياً وصرفياً .

3- التصريفان "قاتل" و"تقاتل" :

أ - الحجة : تشترك العربية والحبشية دون سائر الساميات في هاتين الصيغتين اللتين يميزهما تطويل الصائت بعد الأصل الأوّل من الجذر (15) ، وذلك في نحو "سَاعَدَ" و"تَسَاعَدَ"

(12) انظر : Zaborski (1991) ص 371 .
(13) فقه اللغة العربية المقارن لرمزي منير بعلبكي ، ص 123 . وانظر القسم الخاص بالمقايسة في الكتاب نفسه ص 123 - 141 .
(14) راجع بعض تلك الأمثلة في Goldenberg (1977) ص 475 .
(15) انظر : Brockelman (1908-13) ج 1 ص 513 ، وFleisch (1944) ص 6-40 ، وGarbini (1960) ص 126-134 ، وMoscatti (1969) ص 124 و128 .

في العربية ، و wāḥaya (زار) tamāsala (تمائل ؛ تشابه) في الحبشية . ولما كانت هذه الظاهرة مبتكرة innovation في العربية والحبشية كان للخططين الصّرفيين اللذين يمثلانها شأنٌ بالغ في تصنيف الساميات .

ب - تقويمها : إن القول بانفراد العربية والحبشية في هذه الظاهرة مردود بوجودها في العبرية حيث نفع على الوزن المعروف بـ pō'ēl ، نحو qōtēl الذي يقابل في العربية قَاتَلَ ، والذي يتصرف منه المضارع المعلوم y'qōtēl والمضارع المجهول y'qōṭal واسم الفاعل m'qōtēl (16) . وإلى ذلك ، ففي البيجا Beja - وهي إحدى اللغات الكوشيتية القديمة - ظاهرة شبيهة بالفتحة الطويلة في صيغتي "فَاعَلَّ" و"تَفَاعَلَّ" ، وهي ضمة طويلة ترد في بعض الأفعال الدالة على المشاركة (17) ؛ وفي هذا دليلٌ آخر على أن تطويل الصائت في هاتين الصيغتين يرجع إلى مرحلة السامية الأمّ أي أنه ليس مما أحدثته اللغات الجنوبية في فترة لاحقة فيكون حجة لأصحاب النظرية القائلة بانتفاء العربية إلى الفرع الجنوبي .

4 - /f/ و /p/ :

أ - الحجة : يُستدلّ بالمقارنة أن الصامت /p/ يرجع إلى مرحلة السامية الأمّ وأنه تحوّل في العربية الشماليّة والجنوبيّة وفي الحبشية إلى /f/ (18) .

ب - تقويمها : سبق أن ذكرنا أن التحوّلات الصوتية والصرفية التي يمكن وصفها بأنها "طَبَعِيَّةٌ" إنما هي في الغالب تحوّلات متأخرة لا تشير إلى تقارب عضويّ يجوز استخدامه لأغراض التصنيف . ولعلّ تحوّل /p/ إلى /f/ من أكثر التحوّلات شيوعاً في كثير من اللغات ، ومنها اللغات الهندية الأوروبية . وأما في اللغات السامية غير الجنوبية فإننا ننع أيضاً على مثل هذا التحوّل ، وإن كان مشروطاً بأحوال صوتية معينة، كما في اللغات الشماليّة التي يتمّ فيها هذا التحوّل على نحو مطّرد عند وقوع /p/ إثر صائت ، إذ يتحوّل اللفظ إلى /f/ ، أي أن اللفظ الانفجاريّ يصبح احتكاكياً (19) . وهذا التحوّل ضربٌ من

(16) هذه الأمثلة وسواها في (1910) Gesenius ص 151-152 .

(17) انظر أمثلة على ذلك في (1991) Zaborski ص 373 .

(18) انظر : (1980) Diem ص 68-69 ، و (1969) Moscati ص 24-25 .

(19) تفصيل ذلك في فقه العربية المقارن ص 99 .

المماثلة التقدمية إذ يتغير فيها الصامت بأثر من الصائت ذي الصفة الاحتكاكية . ويبدو أن هذا التحول قد عمّم في العربية والحبشية - على سبيل المقايسة - فحلّ لفظ /f/ محلّ لفظ /p/ في مرحلة متأخرة على ما نرجّح .

أمّا الحجج اللغوية التي يستند إليها أصحاب النظرية الثانية ، أي القائلون بأن العربية أقرب إلى الساميات الشمالية الغربية منها إلى الجنوبية ، فمن فيهم القائلون بانتماء العربية والساميات الشمالية الغربية جميعاً إلى السامية الوسطى وباشترك الوسطى هذه مع السامية الجنوبية في تفرّعها عن السامية الغربية ، فيمكن قسمتها على النحو التالي :

1 - صيغة yaqtulu :

أ - الحجة : ابتدعت السامية الوسطى صيغة yaqtulu للدلالة على الأحداث غير المنقضية وأحلتها محلّ صيغة aqattal التي احتفظت بها الأكديّة والحبشيّة والعربية الجنوبية⁽²⁰⁾ . ويردّ بعضهم هذه الصيغة الجديدة إلى صيغة المضارع المحزوم yaqtul قائلين إن الصائت u- قد أضيف إلى آخرها . ويستنتج أصحاب النظرية الثانية من هذا أن العربية والساميات الشمالية الغربية - وفيها جميعاً هذه الصيغة الجديدة وإن كان قد أصابها التغيير ولا سيما عند سقوط الحركات النهائية - تنتمي إلى مجموعة واحدة ، هي السامية المتوسطة ، يميّزها استحداثها الإعراب في الأفعال بدلاً من تفرقتها بالصيغة كما هو قائم في الحبشيّة مثلاً (حيث نجد y^eqabbar للرفع و y^eqb^er في سواه) .

ب - تقويمها : لو كان الثبّت من هذه الحجة ممكناً لكان لها أثرٌ بينٌ في تعزيز التفرقة بين العربية - أي عربية الشمال - من جهة وبين العربية الجنوبية والحبشيّة، وذلك لأن استحداث صيغ جديدة في عدد من اللغات المتقاربة دون أخواتها لدليل على انتمائها إلى مجموعة متميزة ضمن الأسرة اللغوية الواحدة ، وبخاصّة إذا كانت تلك الصيغ المستحدثة غير ناشئة عن تغيير صوتي أو صرفي متوقّع أو شائع في لغات أخرى حتى يُردّ إلى المصادفة البحتة لا إلى تغيير في المادة المشتركة المتحدّرة من اللغة الأم . وفيما يخصّ صيغة

(20) انظر : Hetzron (1976) ص 105 ، و Goldenberg (1977) ص 475-477 ، و Voigt (1987) ص 3 ، و Faber (1997) ص 8-9 .

yaqtulu فإن من الجائز بل من المرجح أن تكون موجودة في النقوش العربية الجنوبية (21) .
 فمن الناحية النظرية تحتمل كتابة هذه النقوش افتراض وجود صيغتين اثنتين : yaqtulu
 و y^qattal (كما في الحبشية) وذلك لأن الكتابة الصامتة - أي yqtl - لا تُظهر الصوائت
 القصيرة والتشديد . ومن هنا وجب البحث عن أي دليل يرجح بين الاحتمالين النظريين .
 ولعل هذا الدليل قائم في القتيانية حيث نجد صيغة "المضارع" مسبوقة بالصامت b-
 وموازية لاستخدام yaqtulu في العربية الشمالية (22) . وإذا صح أن هذه الباء توازي الباء
 التي تقع عليها في بعض اللهجات العربية المعاصرة متصدرة الأفعال التي يقابلها في الفصحى
 المضارعُ المرفوع قوي الاعتقاد بأن عربية الشمال ليست شبيهة من حيث هذه الظاهرة
 باللغات الشمالية الغربية فحسب بل بعربية الجنوب ، وامتنعت التفرقة الحاسمة بين السامية
 الوسطى والسامية الجنوبية .

2 - صيغ المجهول :

أ - الحجة : تخلو السامية الشرقية - (أي الأكديّة) - من صيغ الفعل المجهول، أي
 أن البناء للمجهول ظاهرة سامية غربية على تفاوت ما بين اللغات الغربية المختلفة من
 تفشّي صيغ المجهول، من الاختصار على بقايا ضئيلة في آرامية العهد القديم مثلاً ، إلى تعميم
 الظاهرة على جميع الأفعال مجردها ومزیدها في العربية (23) . وفيما وراء هذه القسمة بين
 السامية الشرقية والغربية اقترح بعضهم أن العربية الشمالية أقرب إلى الساميات الشمالية
 الغربية منها إلى العربية الجنوبية والحبشية بناءً على الخطّ الصرّي الذي يمثل استخدام البناء
 للمجهول أو إغفاله في تيّك المجموعتين.

ب - تقويمها : كما مرّ في الحجة السابقة ، أي صيغة yaqtulu ، ليست التفرقة
 حاسمة بين عربية الشمال ومعها اللغات الشمالية الغربية وبين السامية الجنوبية ، وذلك أن

(21) انظر الحجج التي سلقها Zaborski (1991) ص 367 على وجود صيغة yaqtulu في النقوش العربية الجنوبية .

(22) مثال ذلك bykbr المكونة من الباء مع الفعل "المضارع" ykbr . انظر : Beeston (1984) ص 64 وقارن ص 61 .

(23) في تفاوت الساميات في استخدام البناء للمجهول ، انظر : فقه العربية المقارن ص 150 - 151 ؛ انظر أيضاً O'Leary (1923) ص 233 - 234 ، و Moscati (1969) ص 123 - 124 .

اللهجات العربيّة الجنوبيّة القديمة لا تخلو من صيغ للمجهول وإن كانت طبيعة كتابة النقوش الجنوبيّة لا تفرّقها في الكتابة عن صيغ المعلوم لأن الفرق بين هذه وتلك مقتصر على الصوائت ، ولذلك فلا فرق كتابياً بين "فَعَلَ" و"فَعِلَ" أو نحوهما (24) . وإلى ذلك نقع على صيغ المجهول في اللهجات العربيّة الجنوبيّة الحديثة ، الأمر الذي يعزّز احتمال وجودها في اللهجات الجنوبيّة القديمة (25) . وعلى هذا فتوزّع تلك الصيغ لا يبيح أي استنتاج قاطع عن تصنيف اللغات الساميّة إلا بين الساميّة الشرقيّة (أي الأكديّة) وسائر اللغات ، وليس في هذا على آية حال من دليل على موقع العربيّة بين أخواتها الجنوبيّة والشمالية .

3 - حركة حرف المضارعة :

أ - الحجّة : تتفاوت حركة حرف المضارعة - أو ضمائر المضارعة على الأصح - في الساميّة الشرقيّة بين الفتحة والكسرة على النحو التالي : a- (للمتكلم المفرد) ، و-ta (للمخاطب والمخاطبة والغائب) ، و-i (والأرجح أن أصلها *yi- ؛ للغائب والغائبين والغائبات) ، و-ni (للمتكلمين) . مثال ذلك على التوالي : aqabbar و taqabbar و iqabbar و niqabbar . ويرى بعضهم في هذا التفاوت دليلاً على شبه الأكديّة في هذه الظاهرة بالساميّة الأمّ باعتبار أن التفاوت ينبئ بمرحلة لغويّة قديمة جداً وسابقة على القياس خلافاً لما في جميع اللغات الساميّة الأخرى ، إذ إن حركة ضمائر المضارعة فيها واحدة في جميع التصاريف (26) . ويمضي أصحاب هذه الحجّة في القول إن الحيشيّة والعربيّة الجنوبيّة ، بعد هذا ، تنفردان بأن ضمائر المضارعة فيهما في الأصل هي -i* وإثما تحوّلت في الحيشيّة في جميع الضمائر على النحو التالي : r°qabb°r و r°qabb°r و y°qabb°r و n°qabb°r . أما الساميّة الوسطى ، ومنها العربيّة ، فقد عمّمت الفتحة أو الكسرة في

(24) Beeston (1984) ص 14 .

(25) Zaborski (1991) ص 372 .

(26) صاحب هذا الرأي ، وهو أول من رأى في توزيع حركة المضارعة في اللغات الساميّة دليلاً على انتماء العربيّة إلى الساميّة الوسطى ، هو Hetzron (أنظر مقالته المنشورة سنة 1976 ص 94 - 95) .

جميع تصاريف كل لغة منها ؛ ففي العربية فتحة فيها جميعاً (27) ، وفي العبرية والآرامية تحولت الفتحة إلى كسرة أحياناً لظروف صوتية خاصة ليس هذا مجال ذكرها .

ب - تقريمها : إن أضعف ما في هذه الحجة أمران : أولهما أنما تفترض أن العربية تشارك اللغات الشمالية الغربية في هذه الظاهرة علماً بأن كلاً من العربية والعبرية والآرامية قد نحا فيها نحواً مابيناً للآخر ، أي أن في كل منها صائناً مختلفاً عُمَمَ على جميع تصاريف الفعل (28) . وعلاوة على ذلك لا مسوغ للقول إن الفتحة في العربية أصلها كسرة ، كما ذهب أصحاب هذا الرأي (29) . وخلاصة الأمر أن هذا التنوع في اللغات السامية الوسطى يُفرغ الحجة من فحواها إفراغاً تاماً . أمّا موطن الضعف الآخر فهو الادعاء أن حركة ضمائر المضارعة في العربية الجنوبية هي -i* ثم قُصِّرَ هذا الصائت كما في الحبشية ؛ فمثل هذا الادعاء لا يعضده شيء لأن الكتابة لا تعيننا مطلقاً على تحديد الصائت المستخدم في الصيغ الواردة في النقوش الجنوبية .

4 - تاء الضمير وكافه مع الفعل الماضي :

أ - الحجة : إذا قارننا ضميرَي الرفع المتحركين للمتكلم والمخاطب في الساميات

وجدناهما كالتالي :

الأكديّة	العربية	العبرية	الآرامية	الحبشية	
-āku	-tu	-tī	-t	-kū	المتكلم
qabrāku	qabartu	qābartī	qebret	qabarkū	
-āta	-ta	-tā	-t	-ka	المخاطب
qabrāta	qabarta	qābartā	q ^o bart	qabarka	

(27) كذا في الفصحى . ولا بد من التنبيه على أن الكسرة هي الغالبة على العربية بدليل قول سيبويه : " هذا باب تكسير فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحرف حين قلت : فعل ، وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز ، وذلك قولهم : أنت تعلم ذلك ، وأنا أعلم ، وهي تعلم ، ونحن نعلم ذلك " (الكتاب 4/110) . إلا أن اللغويين العرب عدوا كسر جرف المضارعة منافياً للفصاحة واستحسنوا خلو لهجة قريش من هذه الظاهرة وهم يسمونها ثلثة بهراء (انظر : مجالس ثعلب 8/1 ، والخصائص 11/2 ، والصحابي 53) .

(28) قارن : (1991) Zaborski ص 369 .

(29) (1976) Herzron ص 95 .

والظاهر أن الأكديّة هي الأقرب إلى ما نفترض أنه حال الساميّة الأمّ ، أي مجيء الكاف للمتكلم والتاء للمخاطب وتصاريفه ، لأن هذا التنوع يرجع إلى مرحلة سابقة على القياس ، في حين أن جميع اللغات الأخرى ماثلت بين الضميرين : فعُمّمت التاء في العربيّة والعبريّة والآراميّة (ومثلها الأوغاريتيّة والفينيقيّة) وعُمّمت الكاف في الحبشيّة (30) . والمحصّلة أن استحداث التعميم في جميع الساميات غير الشرقيّة يُظهر أن العربيّة توافق اللغات الشماليّة الغربيّة وتخالف الحبشيّة - ومعها العربيّة الجنوبيّة - ولذلك فالعربيّة من الساميات الوسطى لا من الساميات الجنوبيّة .

ب - تقويمها : إن القسمة بين اللغتين التي تستخدم التاء وتلك التي تستخدم الكاف قد لا تكون حاسمةً على النحو المبين أعلاه . ففي الساميات الشرقيّة نجد أن الأشوريّة المحدثّة Neo-Assyrian تستخدم الضمائر āka- للمخاطب و āki- للمخاطبة و ākunu للمخاطبين في الأفعال السكوتية stative verbs بدلاً من āta- و āti- و ātuna-؛ وكذلك نقع في بعض اللهجات الآراميّة على ضمائر بالكاف بدلاً من التاء (31) . ومن ناحية ثانية ، لسنا نعرف يقيناً إن كانت العربيّة الجنوبيّة القديمة حقاً تستخدم الكاف فحسب في صيغة المخاطب ، وذلك لأن استخدام ضمائر المخاطبة في نقوش هذه اللغات أمر نادر ، فلا يمكن الجزم بحقيقة الاستعمال . والواقع أن الكاف ، لا التاء ، ترد في بعض اللهجات اليمنيّة الحديثة ، وليس هذا بالضرورة من أثر العربيّة الجنوبيّة بل قد يعكس تنوعاً في العربيّة نفسها (32) . وقد لا يكون مستغرباً أن بعض الباحثين قد اقترح وجود لهجات

(30) Hetzron (1976) ص 93 - 94 .

(31) Goldenberg (1977) ص 478 .

(32) أما ما هو أثر العربيّة الجنوبيّة فما يذكره بعض المصادر من كلام بعض أبناء حمير حين يصطنعون العربيّة فيجعلون تاء الضمير المتحركة كافاً اقتفاءً لما في لغتهم . من ذلك ما نسب إلى راجز من حمير:

يا ابن الزبير طال ما عصيتنا
وطال ما عثبتنا إليك
لتضربن بسيفنا قفينا

انظر : نوادر أبي زيد ص 437 ، وأمالى الزجاجي ص 236 ، واللسان (تا ؛ قفا) . وفي سر الصناعة 281/1 ، والممتع في التصريف 414/1 ، وخزانة الأدب 429/4 أن سحيم عبد بني الحساس كان إذا أنشد شعراً جيّداً قال : أحسنتك والله ، يريد أحسنت . وفي الكامل للمبرد 225/2 أن عبد بني الحساس "كان يرتضخ لكنة حبشيّة" (وعنه نقل البيهقي في الخزانة 102/2) .

انتقالية transitional ليفسر عدم انتظام استخدام التاء والكاف انتظاماً يمكننا من استخلاص أحكام تتعلق بتصنيف الساميات (33) .

5 - الضمير المتصل بالفعل المضارع المسند إلى المخاطبات والغائبات :

أ - الحجة : إن صيغ هذا الضمير في الساميات كالتالي :

المخاطبات	الأكدية	العربية	العبرية	الآرامية	الحبشية
taqabbarā	-ā	-na	tiqbornā	-ān	-ā
iqabbarā	-ā	-na	yaqburna	-ān	-ā
					f ^c qabrā
					y ^c qabrā

الملاحظ أن الأكدية والحبشية تشتركان في استخدام اللاحقة -ā ، الأمر الذي يرحح رجوع هذه اللاحقة في صيغتي المخاطبات والغائبات إلى مرحلة السامية الأم ، وأن العربية توافق العبرية في استخدام na/nā (34) وتجاو شقيقتها الجنوبية أي الحبشية . وإذ إن الآرامية تستخدم -ān ، وهي بذلك تحتفظ بـ ā- من السامية الأم مع زيادة الصامت -n ، فقد ذهب بعضهم إلى أن العربية والعبرية (ومعهما الكنعانية) تنتميان إلى ما سُميَ بـ "العربية-الكنعانية" وأن هذه تتميز عن الآرامية وإن كانت جميعاً ترجع إلى السامية الوسطى (35) .

ب - تقويمها : تفترض هذه الحجة أن العربية والعبرية قد استحدثتا هذا التغيير - أي استخدام na/nā - لعلاقة نَسَبٍ تكوينية ، وهي بذلك تُسقط احتمالاً قوياً بأن يكون هذا التغيير قد حصل في كلٍ منهما بمعزل عن الأخرى . والواقع أن هذا الاحتمال له ما يعززه ، إذ إن هناك سبباً جوهرياً استدعى هذا التغيير عن الأصل ، أعني أن اللاحقة ā- في السامية الأم قد تلبس باللاحقة الدالة على التثنية ، فأبدلتها العربية

(33) انظر : Zaborski (1991) ص 368 .

(34) نرجح أن إطالة الصائت الذي يلي النون في العبرية مرده إلى المقايسة بتأثير من الضميرين المنفصلين attēnā (أنتن) و hēnna (هن) . ولأثر المقايسة في صيغ الضمائر السامية انظر : "المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية" ص 19 - 54 .

(35) انظر : Hetzron (1976) ص 103 .

والعبرية. بما يقابلها في الضمائر المنفصلة للمخاطبات والغائبات (36). وإذا كان الأمر كذلك فالشبه عارض ولا قيمة له من حيث التصنيف النوعي. وهناك ردّ آخر على أصحاب الحجّة المبيّنة في "أ" أعلاه، وهي أن استخدام اللاحقة -n ليس مقصوراً على "العربية-الكنعانية" إذ إنّها ترد في النقوش العربية الجنوبية (37)، وهذا يُبطل الفصل بين العربية والساميات الجنوبية. وأخيراً لا بدّ من القول إن الاعتماد على ظاهرة واحدة، أي توزّع ضميري المخاطبات والغائبات في المضارع، على ما في تلك الظاهرة من تشعب ولا انتظام، لتقرير موضع العربية لا من الساميات الشمالية والجنوبية فحسب بل من علاقتها بالعربية وبالآرامية تكويناً وتصنيفاً، لَشَطَطٌ بَيْنَ وتجاوزٌ بعيدٌ يحمّل الظاهرة - حتى ولو سلّمنا بأنّها صحيحة أو افترضنا أنّها مبتكرة innovation - أكثر مما يجيزه أيّ منطق سليم.

ماذا نستخلص إذن من الحجج السابقة ومناقشتها؟ ولنبداً بما هو الأظهر والأسهل: فالعربية تُفارق الأكديّة - أي السامية الشرقية - مفارقةً تحتمّ تصنيفها في حيزين منفصلين. وإذا نظرنا في النقاط الرئيسية التي أوردناها - وهي الحجج الأربع في النظرية الأولى والحجج الخمس في الثانية، ويمثّل مجموعها ما يمكن أن يكون ظواهر مستحدثة لخطوط مورفيمية تصلح أساساً للتصنيف - وجدنا العربية والأكديّة متباينتين في كلّ منها بغير استثناء. ويمكننا إجمال هذا التباين في النقاط التالية بحسب ورودها السابق:

- 1) تكثر جموع التكسير في العربية، وتخلو منها الأكديّة.
- 2) ترد صيغة الفعل الماضي المبني للمعلوم على وزن fa'ala في العربية، أي بفتحة بين العين واللام، وهي في الأكديّة ضمة في الغالب نحو iškun (وَضَع) (38).
- 3) تطرّد في العربية صيغتا "قَاتِلٌ" و"تَقَاتِلٌ"، وتخلو منهما الأكديّة.
- 4) يقابل الصامتُ /f/ في العربية الصامتَ /p/ في الأكديّة.

(36) انظر: Zaborski (1991) ص 369.

(37) انظر: Voigt (1987) ص 13-15.

(38) انظر: Moscati (1969) ص 123.

- (5) تقابل صيغةُ yaqtulu العربية صيغةُ yaqattal في نحو iqabbar .
- (6) تبني العربية مجهولاً من كلِّ فعلٍ متعدِّ ، وتخلو الأكدية تماماً من البناء للمجهول .
- (7) تقتصر حركة حرف المضارعة في العربية على الفتحة ، وتفاوتت في الأكدية بين الفتحة والكسرة (39) .
- (8) تستخدم العربية التاء في ضميرَي الرفع المتحركين للمتكلم والمخاطب ، في حين تُردُّ التاء في الأكدية في المخاطب ويقابلها الكاف فيها في المتكلم .
- (9) تستخدم العربية -na ضميراً للمخاطبات والغائبات في المضارع ، يقابله في الأكدية -ā .

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى التطابق القائم بين الأكدية والعربية من حيث نظام الإعراب ، تشاركهما في ذلك الأوغاريتية : فتوزيع حركات الإعراب في العربية بين ضمة هي عَلمُ الإسناد ، وفتحة هي عَلمُ المفعولية ، وكسرة هي عَلمُ الإضافة له نظير تامّ في توزيع حركات الإعراب في الأكدية وفي تضمّنها تلك الدلالات العامة نفسها ، نحو tābu للرفع و tāba للنصب و tābi للحجر (40) . إلا أننا نذكر هذا هنا لتتبي أن يكون فيه دليل على علاقة تكوينية تجمع بين العربية والأكدية ، وذلك لاعتقادنا الجازم بأن نظام الإعراب من المشترك لسامي . أي أنه يرجع إلى السامية الأمّ بدليل وجوده في الأوغاريتية مطابقاً للعربية والأكدية ، ووجود بقايا منه في عدد من اللغات السامية الأخرى ، كورود اللاحقة -ā للظرفية في العبرية ، واحتفاظ الحبشية بعلامة الرفع -ā في بعض الأعداد ، نحو šalastu (ثلاثة) و samānītū (ثمانية) . معنى هذا أن الإعراب

(39) سبق أن ذكرنا ثلثة بهراء في الهامش 27 . والواقع أن هذه اللهجة (أي تعلم ، نعلم ، تعلمين إلخ) ولهجة قريش (أي تعلم ، نعلم ، تعلمين إلخ) سواء في احتفاظ كلِّ بحركة واحدة في جميع تصاريف الفعل ، خلافاً للأكدية التي تتفاوتت فيها الحركة في تلك التصاريف . وإنما نستثني من هذا التعميم فعلاً واحداً فحسب هو إخال ، بالكسر ، وسائر التصاريف بالفتح (نخال ، نخالون ، إلخ) ومن اللافت حقاً أن أصحاب التلثة يفتحون همزة أخال (انظر : اللسان ، خيل) ، ولعلّ هذا عائد إلى المخالفة dissimilation في كلتا اللهجتين .

(40) في الأكدية أيضاً تُستخدَمُ -u للظرفية ويقابلها في العربية الضمة في نحو تحتُ وفوقُ وحيثُ وبعدُ إلخ . وفيها أيضاً -is للمفعولية غير المباشرة dative وللظرفية أيضاً ، وليس لهذه اللاحقة نظير في العربية . انظر : Von Soden (1969) ص 78 وما بعدها .

سقط في بعض الساميات واحتفظ به بعضها وليس معناه أن بعضها استحدثه فيكون فيه دليل على علاقة تصنيفية (41) .

من الواضح إذن أن العربية يجب أن تُصنّف خارج السامية الشرقية (أي الأكديّة ومعها متفرعاتها البابليّة والأشوريّة ، وكذلك الإبلاويّة إن صحّ انتماؤها إلى السامية الشرقية ؛ انظر الهامش 2 أعلاه) . أما بعد هذا فالأمر فيه اضطراب وتعقيد . وقد أضحى بيّناً من كلّ ما سبق أن الخطوط المورفيمية متداخلة في مجملها ، أو في أحسن الأحوال غير مقتصر استعمالها على آية لغتين اثنتين أو فوق ذلك . فما أن نقع على ظاهرة صرفية قد تميز لغتين اثنتين فصاعداً حتى نجد لتلك الظاهرة أثراً في لغات أخرى أو نقع على تفسير ينفي العلاقة التكوينية المترتبة عليها ويردّ الظاهرة إلى توارد ناشئ عن ظروف صوتية – كتحوّل /p/ إلى /f/ (42) – أو صرفية – كاستخدام Π رفعاً للالتباس بين لاحقة التنثية ولاحقة المخاطبات والغائبات (43) . إن هذا الواقع يدعونا إلى القول إن العربية يتنازعها نازعان : أحدهما شماليّ غربيّ والثانيّ جنوبيّ . وإذ ذاك فلا مفرّ من القول بوجود مُتّصلٍ لهجيّ أو لغويّ continuum يميل أحياناً إلى النازع الأوّل وأحياناً أخرى إلى النازع الثانيّ . ونجدنا في هذا على وفاق مع Zaborski في كلامه على مُتّصلٍ كهذا (44) ، وإن كنا أميلُ منه إلى النظرية الأولى ، وبخاصّة لأنها لا تفصم العلاقة بين فرعيّ العربية الكبيرين : الشماليّ والجنوبيّ . ويحسن التذكير هنا بما مرّ سابقاً عن طبيعة الكتابة الصامتية للنقوش الجنوبية وعن قلة الشواهد في مادّتها أحياناً . فمن حيث الكتابة وجدنا أن الحجّة الثالثة لأصحاب النظرية الثانية يُضعّفها عدم تمثيل الصوائت كتابةً في تلك النقوش ؛ ومن حيث قلة الشواهد وجدنا أنه لا يمكن الجزم بأن التاء لا تُردّ مطلقاً في ضمير المخاطب لأن ضمائر الغيبة نادرة الوجود جداً في النقوش الجنوبية نظراً لطبيعة المادّة التي دوّنها أصحابها والتي

(41) انظر أيضا ما ذكرناه عن ظاهرة الإعراب في الساميات وتوسع العربية فيها ، في : فقه العربية المقارن ص 154 – 155 .

(42) راجع الحجة الرابعة لأصحاب النظرية الأولى .

(43) راجع الحجة الخامسة لأصحاب النظرية الثانية .

(44) وهو يسميه مُتّصلاً لهجياً dialect continuum ويُرجع الرأي القائل به إلى أوائل دارسي الساميات، وفي طلبعتهم نولكته . راجع : Zaborski (1991) ص 365 – 366 و 373 – 374 .

تكاد تقتصر على السرد بصيغة الغائب . وفيما عدا فصم العلاقة بين عربيّة الشمال وعربيّة الجنوب ، فإننا مطمئنون إلى صحّة النازعين اللذين تنحو العربيّة نحو كل منهما في مسائل بعينها . وانطلاقاً من الخطوط الصرفيّة التي عرضنا لها يمكننا تأكيد هذين النازعين من خلال الحقائق التالية ، نبدأها بالمسألتين الأولى والثالثة في النظرية الأولى :

1- أن العربيّة أكثر ما تشبه الحبشيّة في استخدامها جموع التكسير ؛ إلا أن في بعض اللغات الشماليّة بقايا من استخدام تلك الجموع .

2- أن العربيّة تشاطر الحبشيّة استخدام التصريفين "قَاتَلَ" و"تَقَاتَلَ" ؛ إلا أن صيغة pō'ēl العربيّة التي تقابل "قَاتَلَ" تنبئ بأن التشابه القائم بين العربيّة والحبشيّة ليس عديم النظر في اللغات الشماليّة .

فالنازع إذن في هذين الأمرين جنوبيّ في المقام الأوّل مع وجود نظائر شماليّة. وأما ما كان النازع فيه شماليّاً في المقام الأوّل مع وجود نظائر جنوبيّة فالحقائق التالية المنتزعة من النظرية الثانية :

1- أن العربيّة تشارك الساميّات الشماليّة في استخدام صيغة yaqtulu خلافاً للحبشيّة ؛ إلا أن في العربيّة الجنوبيّة دلائل على وجود تلك الصيغة .

2- أن العربيّة تماثل الساميّات في استخدام صيغ المجهول وإن كانت أكثر أطراداً فيها من أخواتها ؛ إلا أن الراجح أن العربيّة الجنوبيّة قد استخدمت البناء للمجهول دون أن تتمكن كتابتها من تمثيل الفرق بين المعلوم والمجهول ، شأن العربيّة في ذلك قبل ابتداء رموز صوائتها القصيرة .

3- أن العربيّة ، كالساميّات الشماليّة ، قد جعلت التاء المتحرّكة علماً على ضمير المتكلّم بدلاً من الكاف في الساميّات الجنوبيّة ؛ إلا أن التاء ، لا الكاف ، هي التي ترد في بعض اللهجات الآرامية وفي بعض اللهجات اليمينيّة الحديثة أيضاً ، وفي عدم الاطراد هذا ما ينهي عن إثبات نازع وحيد في علاقة العربيّة بأخواتها .

4- أن العربية توافق الساميات الشمالية في استخدام *na*- ضميراً مسنداً إلى المخاطبات والغائبات مع المضارع ؛ إلا أن هذا الضمير يرد أيضاً في النقوش العربية الجنوبية .

إن المتصل اللّهيّ الذي تثبته النقاط الست السابقة له شواهد أخرى مبثوثة في مواطن متفرقة من النحو الساميّ . ونكتفي هنا بذكر ثلاث مسائل سريعة منها لمجرد أن نثبت عدم اقتصار الشواهد على الحجج التي أوردناها في هذه الدراسة (45) .

المسألة الأولى أن أداة التعريف في العربية الأم هي على الأرجح *-han** (التي تطوّرت فيما بعد إلى *-al*) وأن لهذه الأداة نظائر في الساميات الشمالية وفي الساميات الجنوبية على حدّ سواء ، خلافاً لمن يعدّ العربية "شمالية" في هذا الأمر .

والثانية أن سقوط ضمائر الغيبة المتصلة ذات حرف الصغير *s*- أو *š*- من العربية والساميات الشمالية وبقاء تلك التي بالهاء (*-h*) خلافاً لما في السامية الأم ليس دليلاً على نزعة "شمالية" لدى العربية لأن إحدى اللهجات العربية الجنوبية الرئيسية ، وهي السبئية ، تستخدم الهاء أيضاً خلافاً للمعينية والقبتانية (46) ، كما أن الحبشية نفسها تجانس العربية في هذا الجانب .

وأما المسألة الثالثة فإنّ حرف التعدية في الصيغ الفعلية في الساميات هو الهاء أو الهزرة أو حرف الصغير *s/-š* ، وقد احتفظت العربية بالثاني منهما في وزن "أفعل" وبالثالث في "استكتب" (47) . ويُستدلّ من توزّع هذا المورفيم في الساميات أن العربية

(45) انظر تفصيلاً أكبر لهذه المسائل الثلاث في (1991) Zaborski ص 372 - 373 .
(46) انظر القائمة التي تبين توزّع هذه الضمائر في العربية الجنوبية في (1969) Moscati ص 159 .
(47) في العربية شواهد قليلة جداً على هاء التعدية ، في نحو "فرقت الماء" و"هزرت الثوب" و"هزخت الدابة" و"هزخت الشيء" (انظر : سر صناعة الإعراب 554/2) ، ولعلّ منه "هات" بدلا من "أت" . ويقتصر هذا على الألفاظ المسموعة أي أن إلهاء ليست منتجة على سبيل القياس . ويصح في السين التي ترد في وزن "سقلن" ما يصح في الهاء من حيث الندرة وعدم الإنتاج ؛ ومن أمثلتها "سقلنه" أي صرعه ، و"سقلني" وهذه الأخيرة أقرب أن تكون على وزن "أفعل" من أن تكون ألفها زائدة للإلحاق كما فسرها اللغويون (سر الصناعة 674/2 و688) .

يربطها بكلّ من السامية الشماليّة والجنوبيّة روابط تنبئ بمُتصلٍ لهجيّ أو لغويّ لا محدود فاصلة وحاسمة بين الساميات المختلفة (48) .

نستخلص ممّا سبق أن التائيل المعجميّ العربيّ يجب أن يرتكز إلى الحقائق اللغويّة التي أظهرناها فيما سبق : فالتمايز واضح بين العربيّة والساميّة الشرقيّة ، إلا أن المجموعة الساميّة الشماليّة والمجموعة الساميّة الجنوبيّة تتنازعان العربيّة في الخطوط الصرقيّة الأساسيّة، ولذلك فمن المتعدّر أن نصنّف العربيّة في مجموعة واحدة مع أيّ من المجموعتين ونغفل علاقتها بالمجموعة الأخرى . وترجمة هذا الكلام النظريّ من الوجهة العلميّة أنه عند تأييل الكلمات في المعجم التاريخيّ يُستحسن ذكر الكلمات الساميّة الشقيقة cognates ضمن ثلاث مجموعات أوأها الساميّة الجنوبيّة ، وثانيها الساميّة الشماليّة ، وثالثها الساميّة الشرقيّة . وليس المراد من تقديمنا الساميّة الجنوبيّة على الشماليّة إصدار حكم جازم بانتماء العربيّة إليها بأكثر من انتمائها إلى المجموعة الثانية ، بل الإبقاء على العربيّة الجنوبيّة في المجموعة الأولى الأقرب إلى العربيّة إظهاراً للحقائق الجغرافيّة والروابط الحضاريّة التي قد يُسهّم تقدّم الدراسات المقارنة في الكشف عن أثرها اللغويّ وعن مدى تقارب فرعيّ العربيّة بأكثر مما تبيح معرفتنا الحاليّة تأكّيده . وأما جعلُ الساميّة الشرقيّة في الموضع الثالث فناشئ عن الفروق الكبرى التي تفصلها عن العربيّة. وبعد هذا نقترح أن يكون للّغات التي تجمعها بالعربيّة أصولٌ قديمة ، كالمصريّة القديمة والبربريّة ، حينئذٍ ملحق بالمجموعات الثلاث تلك ، يُبيّن فيه المحزون المشترك الذي كان بين الساميات وأنسابها الأبعد قبل الانفصال . ولعلّ في هذا الأساس النظريّ وفي اقتراح تطبيقه عمليّاً ما يهيئُ للتأييل المعجميّ من منطلقات متينة راسخة .

رمزي منير بعلبكي

الجامعة الأمريكيّة في بيروت

(48) في (1969) Moscati ص 125-126 أمثلة من مختلف الساميات على التنوع ؛ وانظر أمثلة أخرى أيضا في (1991) Zaborski ص 372-373 .

المصادر والمراجع

أ- بالعربية :

- الأمامي للزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1382 هـ .
خرانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1967 - 1986 .
الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة 1952 - 1956 .
سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق حسن هندراوي ، دمشق 1985 .
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس ، تحقيق مصطفى الشويبي ، بيروت 1963 .
فقه العربية المقارن : دراسات في أصوات العربية و صرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية لرمزي منير بعلبكي ، بيروت 1999 .
الكامل للمبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ، القاهرة ، 1956 .
كتاب سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط 2 ، القاهرة 1977 .
لسان العرب لابن منظور ، بولاق 1300 - 1307 .
مجالس نعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط 2 ، القاهرة ، 1960 .
معجم المصطلحات اللغوية لرمزي منير بعلبكي ، بيروت ، 1990 .
"المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية" لرمزي منير بعلبكي ، الأبحاث ، السنة 28 ، 1980 ، ص 19 - 54 .
المتع في التصريف لابن عصفور ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط 4 ، بيروت 1979 .
نوادير أبي زيد الأنصاري ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، بيروت ، 1981 .

ب - بالأجنبية :

- Beeston, Alfred F.L. 1984. *Sabaic grammar* . Manchester : Journal of Semitic Studies.
Bergsträsser, Gotthelf. 1923 ; repr. 1983. *Introduction to the Semitic languages*, tr. Peter T.Daniels. Winona Lake, Ind. Eisenbrauns.
Brockelmann, Carl. 1926 ; repr. 1961. *Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen*. Hildesheim: Georg Olms.
Diem, Werner. 1980. "Die genealogische Stellung des Arabischen in den semitischen Sprachen. Ein ungelöstes Problem der Semitistik", *Studien aus Arabistik und Semitistik*. Anton Spitaler zum siebzigsten Geburtstag von seinen Schülern überreicht, ed. W. Diem and S. Wild, pp. 65-85. Wiesbaden : Harrassowitz.
Faber, Alice. 1997. "Genetic subgrouping of the Semitic languages", *The Semitic Languages*, ed. Robert Hetzron, pp. 3-15. London : Routledge.
Fleisch, Henri. 1944. *Les verbes à allongement vocalique interne en sémitique* . Paris : Institut d'Ethnologie.

- Garbini, Giovanni. 1960. *Il semitico di nord-ovest*. Napoli : Istituto Universitario Orientale di Napoli.
- Gesenius, William. 1910 ; repr. 1976. *Hebrew grammar*, tr. A.E. Cowley, ed. E. Kautzsch, 13th ed. Oxford : Clarendon Press.
- Goldenberg, Gideon. 1977. "The Semitic languages of Ethiopia and their classification", *Bulletin of School of Oriental and African Studies*, 40, pp. 461 -507.
- Gray, Louis Herbert. 1934 ; repr. 1971. *Introduction to Semitic comparative linguistics* : Amsterdam : Philo Press.
- Hetzron, Robert. 1976. "Two principles of genetic reconstruction", *Lingua* 38, pp. 89-104 .
- Huehnergard, John. 1992. "Languages of the ancient Near East", *The Anchor Bible Dictionary*, vol.4, pp. 155-70.
- Moscatti, Sabatino, Anton Spitaler, Edward Ullendorff, and Wolfram von Soden. 1969. *An introduction to the comparative grammar of the Semitic languages : Phonology and morphology*. 2nd ed. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.
- Nöledeke, Theodor. 1911. "Semitic languages," *Encyclopaedia Britannica* 24 , pp. 617-30. Cambridge.
- O'Leary, de Lacy. 1923 ; repr. 1969. *Comparative grammar of the Semitic languages*. Amsterdam: Philo Press.
- Petráček, K. "Die innere Flexion in den semitischen Sprachen," *Archiv Orientalní* 28 (1960) 547-606, 29 (1961) 513-45, 30 (1962) 361-408, 31(1963) 577-624, 32(1964) 185-222.
- Rodgers, Jonathan. 1991. "The subgrouping of the south Semitic languages," *Semitic studies in honor of Wolf Leslau*, vol.2, ed. A.S. Kaye, pp. 1323-36. Wiesbaden : Harrassowitz .
- Voigt, Rainer M. 1987. "The classification of central Semitic," *Journal of Semitic Studies* 32, pp. 1-19.
- von Soden, Wolfram. 1969. *Grundriss der akkadischen Grammatik*. Roma : Pontificium Institutum Biblicum.
- Wright, William. 1890 ; repr. 1966. *Lectures on the comparative grammar of the Semitic languages*. Amsterdam : Philo Press.
- Zaborski, Andrzej. 1991. "The position of Arabic within the Semitic dialect continuum," *Proceedings of the colloquium on Arabic grammar*, ed. K. Dévényi and T. Iványi, pp. 365-75. Budapest : Eötvös Loránd University.